قصص القرآن بين الحق الواضح والخيال الجامح

دراسة نقدية

لمقولة " محمد أحمد خلف الله"

الأستاذ الدكتور

أنور إبراهيم رجب منصور

الأستاذ بجامعتي الأزهر والبحرين

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وبعد :

فإن القرآن الكريم بحره عميق ، وفهمه دقيق ، تفاوتت في فهمه الأذهان ، وتسابقت في إدراك دقائقه وعجائبه العقول والأبصار .

قرع الله به آذان أهل اللسان فكان وقعه أقوى من السنان ، وتحداهم به في عبارات صارخة ولهجة واجزة عن محاكاته في معانيه ، أو المجيء بمثل مبانيه ، فما فعلوا رغم تمرسهم في البيان ، وتملكهم ناصية الفصاحة والكلام ، واستمر العجز والضعف عن مصاولته رغم تراخي الزمن وتقدمه ، وكأنما الناس أمام وجوه إعجازه منذ نزوله إلى اليوم إنسان واحد !

ومن جملة وجوه الإعجاز القرآني التي خاض العلماء في بيانها : ما اشتملت عليه آياته من حديث صادق عن الأمم البائدة والقرون السالفة .

تناول هذا الجانب ـــ القصة القرآنية ـــ فئات كثيرة من العلماء منهم المفسرون وعلماء التاريخ ، بالإيجاز تارة وبالإطناب أخرى ، اقتصر بعضهم على الخبر الصحيح ، وتوسع آخرون فنقلوا ما صح وما لم يصح ، وخاضوا في أمور لا طائل من وراء ذكرها اللهم إلا تسويد الصحائف وتشتيت الأذهان .

على حين لبس بعضهم ثوب الدفاع عن القرآن وارتفع صوته بحجة الإصلاح ودفع عادية الأعداء ، فراح يحلل قصص القرآن على

غرار القصص الأدبي فإذ به ينزلق في متاهات وظلمات ..

وقد استخرت الله تعالى في إعداد بحث يكشف أوجه الانحراف البشرى في قصص القرآن فوجدته طويل الذيل متشعب الجوانب ، فاقتصرته على نقد دعوى دراسة القرآن وقصصه حسب المقاييس الأدبية ، أعني تلك الادعاءات التي تولاها محمد أحمد خلف الله في دراسته حول القصص القرآني ، والتي خرج منها إلى المساواة بين القصص القرآني والقصص الأدبي ، وخضوعهما لقواعد واحدة دون تفرقة بين ما كان مصدره الوحي والحق الواضح ، وبين ما كان معتمدا على الفكر البشري والخيال الشاطح .

هذا : وقد التزمت في هذا العمل القواعد العلمية المتعارف عليها في الأقوال والشواهد ، ويعلم الله أنني بذلت فيه كل ما في وسعى ولم أدخر جهدا ، ولم أتعمد تجريح أحد أو إبراز عيوبه ، وكان القصد من ورائه رضا الله تعالى أولاً وآخراً .

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلنا من خدم كتابه ، وأن يحفظ حواسنا من الزيغ والضلال .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[البقرة: ٢٨٦]

مدخل وبيان :

من أجلّ النعم التي أنعم الله بها على الإنسان : نعمة العقل ، به يميز ويدرك ، وعن طريقه يفكر ويبدع .

ومن أهمل عقله ولم ينتفع به أو لم يسخره فيما يجلب له النفع ويدفع عنه الضر فقد سقط في جهالات الضلال ، وصار إلى جنس البهائم أقرب بل أضل سبيلا .

وقد صورت لنا آيات القرآن الكريم نفراً أغلقوا منافذ الإدراك فلم ينتفعوا بها بقطيع من الأنعام لا تستجيب لنداء راعيها .

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (١)

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٢)

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ (٣)

فرغم توفر أدوات المعرفة لديهم من قلب وسمع وبصر ، إلا أنهم لما لم ينتفعوا بها ولم توصلهم إلى طريق الرشد والحق صاروا في عداد الأنعام ، وهؤلاء هم شر الخلق كما قال سبحانه ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٤)

---

(١) البقرة : ١٧١

(٢) يونس : ٤٢

(٣) الحج : ٤٦

(٤) الأنفال : ٢٢ .

ولأهمية العقل وعظم دوره في الحياة " جاءت مادة (ع ق ل) في القرآن تسعا وأربعين مرة كلها ــ إلا واحدة ــ جاءت بصيغة الفعل المضارع ، وخصوصاً ما اتصل به واو الجماعة " تعقلون " و "يعقلون " ، ففعل " تعقلون " تكرر أربعاً وعشرين مرة (٢٤) ، وفعل " يعقلون " تكرر اثنتين وعشرين مرة (٢٢) ، وفعل عقل ونعقل ويعقل جاء كل منها مرة واحدة " (١)

وقد حافظ الإسلام على العقل وعده من الكليات الخمس (الدين – النفس – العقل – النسل – المال) ، فحرم كل ما يضره حسياً ومعنوياً ؛ حسياً كالمطعومات الضارة وأشباهها ، ومعنويا كسلطة الخرافة والتبعية ، فحرم السحر والكهانة وكل ما من شأنه أن يضر به ، ووجهه إلى مجالاته التي يثمر فيها ويفيد دون غيرها كالتفكر في آيات الله المبثوثة في الآفاق والأنفس ، وتعددت مجالات التفكر حتى شملت

---

(١) العقل والعلم في القرآن د/يوسف القرضاوي ص ١٣نشر مكتبة وهبة ط الأولى ١٤١٦هـــ ــ ١٩٩٦م بتصرف .

والعقل الذى كرم الله به الإنسان على غيره هو العقل المجرد من الهوى والشهوة ، فاتباع الهوى مضل إلا أن يكون تابعاً لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » (جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص ٣٨٦ ط دار المعرفة ط الأولى ١٤٠٨ هــ وقال حديث حسن صحيح ، ونوادر الأصول في أحاديث الرسول للحكيم الترمذي ٤/١٦٤ط دار الجبل بيروت ط الأولى ١٩٩٢م قال ابن حجر ورجاله ثقات وقد صححه النووي في آخر الأربعين فتح الباري ١٣/٢٨٩

الكون كله منظوره ومسطوره ، وارتبط ذكر العقل بهذه الآيات [١]

ولا تعنى إشادة القرآن بالعقل وإعلائه من شأنه أن يتجرد صاحبه من كل قيد ديني وينطلق ليقرر ما شاء وقت ما يشاء ، وذلك بحجة حرية العقل والفكر!.

هذه ليست حرية بل جاهلية ، فالعقل والنقل صنوان لا يفترقان ، ولا حرية لعقل يعارض النقل الصحيح أو النص الصريح.

---

(١) فالمقروء كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ يوسف: ٢
﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ الزخرف: ٣

أما آيات التعقل في الكون والاعتبار بما فيه من دلائل علوية من شمس وقمر وكواكب ونجوم وسفلية من بحار وجبال وأنهار فهى كثيرة :قال تعالى ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ البقرة:١٦٤ ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ آل عمران: ١٩٠ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ الأنعام: ٩٩ ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ يونس: ٦٧

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الرعد: ٣

وليعلم دعاة الحرية العقلية أن لكل حرية تبعاتها . فمن (شاء أن يقدر حريته فليقدر تبعته قبل تقديره لحريته ، ومن تقدير التبعة أن يفهم ما يجوز له عرضه للإقرار والإجازة ، وما ينفرد به أو يشـــرك فيـــه سواه ، فإن لم يفهم ذلك فليس هو بأهل لتقـــدير الحريـــات ولا لتقـــدير التبعات .

وقد سبقتنا إلى النظام الجامعي أمم كثيرة ، وسبقتنا إلـــى حريـــة الرأي أمم كثيرة ، وترجع تقاليد الجامعات في بعض هذه الأمـــم إلـــى مئات السنين ، وكلها تدين بهذا المبدأ فيما يعرض عليها من الرســـائل للإجازة والإقرار ، ولم يقل أحد إنها تصادر حرية الآراء ، أو تحجـــر على مباحث المفكرين .

فلم نسمع قط أن أحدا تقدم إلى جامعة اكسفورد مثلا ببحـــث فـــي ميلاد السيد المسيح : هل كان مولدا طبيعيـــا أو كـــان مولـــد خارقـــة وإعجاز ؟!

ولم نسمع قط أن أحدا تقدم إلى جامعة السوربون ببحث في تدوين الأناجيل هل هي من كتابة الرسل أو كتابة أنـــاس آخـــرين مجهـــولين أو معلومين ؟!

والجامعات الإنجليزية تدرس تواريخ الأديان وتـــدرس المقابلـــة بينها، فلم نسمع قط أن دراستها هذه أجازت لصـــاحب رأى أن يطلـــب منها إقرار قول من الأقوال يخالف ما تلتزمه أمام جميع المتعلمين[(١)]

(١) من مقال افتتاحي للأستاذ العقاد في مجلة الرسالة تحقيق أحمد حسن الزيات العدد رقم ٧٤٩ لسنة ١٩٤٧م السنة الخامسة عشرة.

إذا كانت الجامعات والأمم التي تدعى الحرية تمنع طلابها من فعل هذا، أفيليق بجامعة عربية عريقة تناول القرآن الكريم على أساس المقاييس الأدبية الفنية التي هي من وضع البشر ؟ !!

والبداية ترجع إلى سنة ١٩٤٧م ، ففي هذه السنة تقدم الأستاذ محمد أحمد خلف الله [١]المعيد بكلية فؤاد الأول (القاهرة حالياً) برسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه موضعها : الفن القصصي في القرآن [٢]، وقد أعدها بإشراف الأستاذ أمين الخولى .

أما أهم ما ذهب إليه خلف الله في بحثه هذا فيدور حول :

*** الصدق التاريخي ليس من مقاصد القصص القرآني :**

يذهب خلف الله إلى القول بأن القرآن الكـــريم أهمـــل مقومـــات

---

(١) أرسل الدكتور محمد خلف الله احمد رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية في هذا الوقت توضيحاً لمجلة الرسالة قال فيه : إن محمد أفندي أحمد خلف الله المعيد بكلية آداب القاهرة وصاحب بحث الفن القصصي في القرآن الذي تناولته الرسالة بالنقد والتفنيد شخص آخر غير محمد خلف الله أحمد أستاذ الأدب العربي بجامعة فاروق الأول بالإسكندرية وخريج دار العلوم وجامعة لندن وصاحب الكتب والبحوث المعروفة في الدراسات النفسية والأدبية والنقدية ، إن هذا التشابه في الاسمين قد اضطرني أن أنبه إليه مراراً في الصحف اليومية في مناسبات سابقة ، ولكنى في الموقف الحاضر يوشك أن يشوه بعض ما يعرف القراء عنى من التزام لجادة الحق والعلم والدين في كتبي ومقالاتي . (الرسالة العدد رقم ٧٤٦السنة الخامسة عشرة ١٩٤٧م ص ١١٦٤/١١٦٥)

(٢) طبعتها مكتبة الأنجلو المصرية عام ١٩٦٥م وكانت قد طبعت من قبل عام ١٩٥٣م ثم عام ١٩٥٧م .

التاريخ من زمان ومكان وترتيب للأحداث ، وأن من يحــاول دراســة القرآن على أساس الصدق التاريخي فقد وقع في خطر عظــيم ، إذ أن القرآن قد استخدم الأسطورة والأكاذيب في قصصه جرياً علـــى عـــادة العرب وإلفهم ومجاراة لمعتقداتهم .

ومن مقولاته في هذا الصدد : إن قصد القرآن من قصصه لم يكن إلا العبرة والعظة ، وليس منه مطلقاً تعليم التاريخ أو شرح حقائقه .

وقوله : إن التاريخ ليس من مقاصد القرآن وإن التمســك بــه ــ بمقياس الصدق التاريخي في القصص القرآني خطر أي خطــر علـــى النبي عليه السلام وعلى القرآن ، بل هو جدير بأن يدفع الناس إلى الكفر بالقرآن كما كفروا من قبل بالتوراة .

ويقول : إن المعاني التاريخية ليست مما بلغ على أنه دين يتبع ، وليست من مقاصد القرآن في شيء ، ومن هنا أهمل القرآن مقومـــات التاريخ من زمان ومكان وترتيب للأحداث .

ويرى : أن القرآن الكريم لا يطلب الإيمان برأي معين في هـــذه المسائل التاريخية ، وأنه ــ أي : القرآن الكريم ــ استخدم الأســـاطير والأكاذيب التي كانت في أذهان العرب عن الوقائع التاريخية فنزل بهـــا ولم يصححها أو ينص على كذبها خدمة لأغراضه في العظة والاعتبار ومجاراة لمعتقدات القوم الذين نزل فيهم . (١)

ويستدل على صحة آرائه هذه بما ورد عن الأستاذ الإمام محمد

---

(١) راجع : الرسالة ص ١٠٦٧ – ١٠٦٨ مدخل إلى علم التفسير د/ محمد لتاجي ص٢١٤-٢١٥ نشر مكتبة الشباب ١٤١٦هــ ــ ١٩٩٦م) ومع المفسرين والكتاب أحمد محمد جمال ٧٢ وما بعدها مطابع دار الكتاب العربي بمصر الفن القصصي ٢٥٥وما بعدها.

عبده فيقول :

على أن هذا القول قد قال به الأستاذ الإمام ، وقد نقله عنه صاحب المنار في مواطن كثيرة من كتابه كقوله : إن الله تعالى أنزل القرآن هدى وموعظة ، وجعل قصص الرسل فيه عبرة وتذكرة لا تاريخ شعوب ومدائن ولا تحقيق وقائع ومواقع .

وقوله : فإن قيل إن التاريخ من العلوم التي يسهل على البشر تدوينها والاستغناء بها عن الوحي فلماذا كثر سرد الأخبار التاريخية في القرآن وكانت في التوراة أكثر ؟

والجواب ليس في القرآن شيء من التاريخ من حيث هو قصص وأخبار للأمم أو البلاد لمعرفة أحوالها ، وإنما هي الآيات والعبر تجلت في سياق الوقائع بين الرسل وأقوامهم لبيان سنن الله تعالى فيهم إنذاراً للكافرين بما جاء به محمد ﷺ وتثبيتاً لقلبه وقلوب المؤمنين به ، ولذلك لم تذكر قصة بترتيبها وتفاصيلها ، وإنما يذكر موضع العبرة فيها .[(١)]

وبعد أن قسم خلف الله المفسرين إلى قسمين أحدهما يؤمن بوقوع كل ما أخبر به القرآن في قصصه ، وآخر لا يلتزم بذلك وعلى رأسهم الأستاذ الإمام محمد عبده أعلن في صراحة واضحة تبعيته للأستاذ الإمام في قوله بالقصص التمثيلي ، فقال :

---

(١) تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار . للشيخ رشيد رضا ٣٧٤/٩ ، ٢٠٥/٢ ط دار المنار ط الثانية ١٣٦٦هـ ــ ١٩٤٧م .

ولقد نتج عن ذلك طريقتان في التفسير طريقة السلف وطريقة الخلف .

أما الأولون فيذهبون إلى أن كل ما ورد في القصص القرآني من أحداث قد وقع .

وأما الآخرون فلا يلتزمون هذا ، وعلى طريقتهم جرى الأستاذ الإمام فقال في وصف هذه الطريقة عند تفسيره لقصة آدم من سورة البقرة : " وأما تفسير الآيات على طريقة الخلف في التمثيل فيقال فيه : إن القرآن كثيراً ما يصور المعاني بالتعبير عنها بصيغة السؤال والجواب ، أو بأسلوب الحكاية لما في ذلك من البيان والتأثير ، فهو يدعو بها الأذهان إلى ما وراءها من المعاني . [١]

ويمضى صاحب المنار في شرح هذه الحقيقة إلى أن يقول :

قال الأستاذ الإمام ما مثاله : وتقرير التمثيل في القصة على هذا المذهب هكذا : إن إخبار الله الملائكة بجعل الإنسان خليفة في الأرض هو عبارة عن تهيئة الأرض وقوى العالم وأرواحه . إلخ [٢]

ويشعر خلف الله أن الاعتراض البدهي الذي سيأتي إلى ذهن المسلم عند سماع ذلك هو : فكيف وصف القرآن كل ما فيه بأنه الحق ؟

ومن ثم يقول خلف الله على الفور : وهنا قد تقول ما يقوله الكثيرون من أن هذا التفسير يعارض بعض نصوص القرآن ، فهو يعارض وصف القصص القرآني بالحق ويعارض آيات الافتراء .

ولذا يجب أن نقف عند هذه الآيات لنريك أنه لا تعارض فنقول :

---

(١) المنار ٢٨٠/١.

(٢) مجلة الرسالة ص ١٠٦٨ السنة الخامسة عشرة.

إن آيات الافتراء لا تتعلق بالمواد الأدبية القصصية ولا بما في هذه القصص من صور للأحداث والأشخاص من حيث هي صور ، وإنما تتعلق بالقرآن كله من حيث هو كتاب ديني وصلته بالخالق سبحانه وتعالى أو بمحمد عليه السلام ، تتعلق بصاحب النص أهو الخالق أنزله على النبي عليه السلام أم هو النبي وهو الذى يفترى حين ينسب هذا القرآن وهذه القصص إلى الله ؟

هذا فيما يتعلق بآيات الافتراء .

أما وصف القرآن لقصصه أنه الحق فقد أوله خلف الله بقوله :

أما الآيات التي يصف القرآن فيها بعض القصص بهذه الصفة بالحق من مثل قوله تعالى " إن هذا لهو القصص الحق " ، " وجاءك في هذه الحق " فليس فيها ما يدل دلالة قطعية على أن المقصود بهذه الصفة إنما هى الأحداث التاريخية بل لعل رأيا آخر هو الراجح وهو أن هذه الصفة إنما تطلق على المقصود من هذه القصص من أمثال التوجيهات الدينية والأغراض القصصية [(١)] .

وينسب هذا المعنى إلى فخر الدين الرازي بقوله : وقد أكد الرازي هذا الأمر حين يجعل أحياناً كلمة " بالحق " التي ترد كثيراً في القرآن بعد القصص وصفاً لما في القصة من توجيهات دينية ، فهو مثلا يقول عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[(٢)]: أما الحق فهو

(١) راجع : مدخل إلى علم التفسير ٢١٤، ٢١٥، ، مع المفسرين والكتاب أحمد محمد جمال ٧٢ الفن القصصي ٢٥٥وما بعدها .

(٢) هود: ١٢٠

إشارة إلى البراهين الدالة على التوحيد والعدل والنبوة .[١]

وينتهي خلف الله إلى إنه حسن القصد والنية ، ويعلل موقفه هذا بأنه يريد تخليص القرآن من مطاعن المكذبين الذين يقارنون بين التاريخ وبين قصص القرآن ، فيقع عندهم مخالفة القرآن في قصصه لحقائق التاريخ ، فيرجعون من وراء ذلك إلى تكذيب القرآن في قصصه .

يقول :القول إذاً بأن بعض القصص القرآني قصص جيء بها لتمثيل المعاني قول معروف لدى رجال الدين وطريقة معروفة لدى المفسرين ، وجرى عليها إمام من أئمة الدين هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده .

جريت أنا على هذه الطريقة يدفعني إليها غرض ديني هو تخليص القرآن من مطاعن الملاحدة والمستشرقين ، وتفسير المسألة يرجع إلى أن هؤلاء يبحثون عن العلاقة بين القصص القرآني والتاريخ اتفاقاً واختلافاً ، وينتهون من ذلك إلى أن في القرآن أخطاء تاريخية .

أما موقفي فيتلخص في أن الدراسة على هذا الأساس خاطئة ؛ لأن القصص القرآني لا يدرس على أساس أنه قد جاء لتعليم التاريخ أو شرح حقائقه ....

كما نجد المستشرقين يلجون من نفس الباب فيطعنون على النبي والقرآن حين يوردون بعض الاعتراضات ، وحين يذهبون في فهم القصص القرآني مذهب أصحاب التاريخ فيبتعدون بذلك عن المذهب الحق في فهمه ، وهو أنه قصص ديني يقصد منه غير ما يقصد من

(١) مجلة الرسالة ص ١١٢٢ السنة الخامسة عشرة

التاريخ .

مذهب الأستاذ إذاً هو الذي يجنبنا كل هذه الأشياء ، ومن أجل هذا اعتمدته وجريت عليه .[1]

هذه هي رؤية الأستاذ خلف الله ، وهذا هو موقفه من القصص القرآني وعلاقته بالتاريخ .

ولنا معه وقفات :[2]:

الوقفة الأولى :

قوله إن بعض القصص القرآني لم يأت مطابقاً للواقع ولا يشترط أن يكون حقيقة فتح لباب شر مستطير يعصف بكل أي القرآن ، أو على الأقل يشكك في مصداقية القرآن فيما يخبر به .

ولو أجزنا ــ جدلا ــ أن يكون فيه أقوال غير مطابقة للواقع لكان معنى ذلك أن من أقواله ما يكون كذباً ! وليس الكذب سوى عدم مطابقة الكلام للواقع، وإذا كان الفضلاء من الناس يتبرؤون من أن يقولوا زورًا، ويعدونه من أقبح الرذائل المزرية بالإنسانية، فما كان لنا أن نلصقه بكلام ذي العزة والجلال، ناظرين إلى مقام الربوبية كما ننظر إلى شاعر أو كاتب قد يعجز عن أن يظهر براعته الفنية في الحوادث

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٦٨ .

(٢) راجع بتصرف : مجلة الرسالة السنة الخامسة عشرة ١٩٤٧ ص ١١٨٣-١١٨٤ ، ١٢٩٥ والفن القصصي في القرآن محمد الخضر حسين مجلة: الهداية الإسلامية الجزآن السابع والثامن من المجلد العشرين، محرم وصفر عام ١٣٦٧، والجزءان الأول والثاني من المجلد الحادي والعشرين، رجب وشعبان عام ١٣٦٧هـ ، و القرآن لا يقول إلا حقًّا الشيخ محمد الخضر حسين مجلة: "لواء الإسلام" العدد الثامن من المجلد الثامن .

الواقعة تاريخيا.

فما يرد في القرآن على وجه الإخبار لا يكون إلا موافقًا للواقع، هذا ما يقتضيه الإيمان بأنه تنزيل من عليم حكيم

فالحوادث والأشخاص في القرآن الكريم ليسا وضعا ولا خيالا وإنما هما حق ثابت ، ولو كان هناك شك فيهما ما خفي مئات السنين حتى ظهر الآن للعلماء الدارسين !!

الوقفة الثانية :

إن القرآن لا يحكى فيه إلا ما كان واقعًا أمر قرره أبو إسحاق الشاطبي في "موافقاته" فقد قال ــ بعد أن تتبع القرآن بنظر وبحث ــ : كل حكاية في القرآن فلا يخلو أن يقع قبلها أو بعدها – وهو الأكثر – ردٌّ لها أو لا، فإن وقع ردٌّ لها فلا إشكال في بطلان ذلك المحكي وكذبه، وإن لم يقع معها ردٌّ فذلك دليل على صحة المحكي وصدقه".

ثم قال: "إن القرآن سمي فرقانًا وبرهانًا وبيانًا، وتبيانًا لكل شيء، وهو حجة الله على خلقه على الجملة والتفصيل، والإطلاق والعموم؛ وهذا المعنى يأبى أن يحكى فيه ما ليس بحق ثم لا ينبَّه عليه".(١)

ومن ظن أن في القرآن قصة باطلة أو قضية تخالف العلم الصحيح فقد وقع فيما يستلزمه هذا الظن لزومًا بيِّنًا لا خفاء فيه، من أن القرآن كلام ليس من عند الله؛ فإن الله قادر على أن يصور الموعظة والاعتبار في قصص واقعة، وقضايا موافقة للعلم الصادق، مما جاءت به الشريعة لإبطال ما يعتقده العرب من المزاعم الباطلة.

---

(١) الموافقات في أصول الشريعة لأبى إسحاق الشاطبى ٣٥٣/٣ط دار الفكر العربي ط الثانية ١٣٩٥هـــ ــ ١٩٧٥م .

وإذا كنا نعد من يسوق في كلامه قصة غير واقعة بأسلوب يوهم أنها واقعة عاجزًا أو جاهلاً، كما نعد من يأتي بكلامه بجملة ينكرها العلم عاجزًا أو جاهلاً، فكيف نعتقد أن الخالق جل جلاله يسوق في كلامه ما ليس بحق ولا ينبه له؟!

وإذا كان بعض السياسيين يريد أن يجلب قلوب الناس إلى غرض محمود بقصة يعرف أنها غير واقعة، أو كلام يعرف أنه لا يطابق العلم الصحيح، فربما كان حسن القصد غطى على عيب الكذب، وهذا لا يقرر في حق الباري جل شأنه، إذ هو قادر على أن يؤلف قلوب الناس بغير حكاية ما ليس بحق، والكذب مستحيل في حق الأنبياء – عليهم السلام – فكيف يكون من الله جل وعلا؟!

الوقفة الثالثة :

نقل الأستاذ خلف الله عن الفخر الرازي لم يكن نقلاً أمينا ؛ وشأنه في شأن من يقرأ " لا تقربوا الصلاة" ويسكت .

وإني ناقل عبارة الفخر الرازي بنصها شاهدا على تدليس الأستاذ محمد خلف الله فيما ينقل من عبارات العلماء .

قال الفخر في تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١)

اعلم أنه تعالى لما ذكر القصص الكثيرة في هذه السورة ذكر في هذه الآية نوعين من الفائدة .

الفائدة الأولى : تثبيت الفؤاد على أداء الرسالة وعلى الصبر واحتمال الأذى ، وذلك لأن الإنسان إذا ابتلى بمحنة وبلية فإذا رأى له

(١) سورة هود آية رقم ١٢٠

فيه مشاركاً خف ذلك على قلبه ، كما يقال : المصيبة إذا عمت خفت ، فإذا سمع الرسول هذه القصص ، وعلم أن حال جميع الأنبياء صلوات الله عليهم مع أتباعهم هكذا ، سهل عليه تحمل الأذى من قومه وأمكنه الصبر عليه .

والفائدة الثانية : قوله : { وَجَاءكَ فِي هذه الحق وَمَوْعِظَةٌ وذكرى لِلْمُؤْمِنِينَ } وفي قوله : { فِي هذه } وجوه : أحدها : في هذه السورة . وثانيها : في هذه الآية . وثالثها : في هذه الدنيا ، وهذا بعيد غير لائق بهذا الموضع .

واعلم أنه لا يلزم من تخصيص هذه السورة بمجيء الحق فيها أن يكون حال سائر السور بخلاف ذلك ، لاحتمال أن يكون الحق المذكور في هذه السورة أكمل حالاً مما ذكر في سائر السور ، ولو لم يكن فيها إلا قوله : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ [(١)] لكان الأمر كما ذكرنا ، ثم إنه تعالى بين أنه جاء في هذه السورة أمور ثلاثة الحق والموعظة والذكرى .

أما الحق: فهو إشارة إلى البراهين الدالة على التوحيد والعدل والنبوة.

وأما الذكرى:فهي إشارة إلى الإرشاد إلى الأعمال الباقية الصالحة .

وأما الموعظة : فهي إشارة إلى التنفير من الدنيا وتقبيح أحوالها في الدار الآخرة ....[(٢)]

فخلف الله يحمل كلام الإمام الرازي ما لا يحتمله كما هو واضح من السياق .

---

(١) [هود : ١١٢]

(٢) مفاتيح الغيب – (ج ٨ / ص ٤٨٩)

الوقفة الرابعة :

لم يُخطئِ المتقدِّمون ولا المتأخِّرون في عدِّ القصص تاريخًا ؛ بل هم على بينة من أمرهم، إذ يعدون القرآن أصحَّ مصدر لِما يقص من شؤون الأمم الغابرة، والأمم التي كانت تعيش وقت نزوله.

ذلك أنَّ الدَّليل القائم على أنَّ القرآن وحْيٌ إلَهي هو الدَّليل الذي يشهد بأنَّ قَصَصَه تاريخ حقّ، لازم للإيمان بأنَّهُ وحي سماوي، ومن يَزْعُم أنَّهُ يوجد هذا الإيمان بدون ذلك الاعتقاد فهو كمن يزعم أن الشمس طالعة والنهار غير موجود .

على أن القرآن يخالف كتب التاريخ في أمور ويوافقها في أمور :

فالمؤرخ قد يرى من واجبه أن يتتبع تفاصيل الواقعة : من الأسماء والزمان والمكان والأحداث وتفاصيلها ، لأن هذا كله قد يعينه على استنتاج الحكم التاريخي الذى يحكم به على الواقعة أو يشبع به نهم العواطف الكثيرة المختلفة من قراء التاريخ ، أما القرآن الكريم فقد لا يعنيه بعض هذا لأنه لا يستنتج الأحكام التاريخية ولكنه الحكم الفيصل فيها ؛ فقد لا تعنيه الأسماء مثلا فيقول " قتل أصحاب الأخدود " لأن العبرة التي تترتب على القصة أى الحكم التاريخي لا يتوقف على أسماء هؤلاء الناس ، وليس له بأسمائهم صلة .

وقد لا يهتم القرآن الكريم بالزمان فيذكر قصة يوسف عليه السلام وفيها اسم يوسف والمكان الذى كانت فيه القصة ولا يذكر زمانها ؛ وقد لا يهتم بالمكان فيذكر قصة لوط فيبين اسمه وأنه معاصر لإبراهيم ، ويذكر الحوادث ولا يذكر المكان .

وقد لا يهتم القرآن الكريم بالتفاصيل فيذكر قصة يونس عليه

السلام وأنه " فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ "(١) دون أن يدل على تفاصيل المساهمة ولا على نوعها ولا على المساهمين ، ذلك كله لأن القرآن يخالف المؤرخ ، فالمؤرخ قد يتتبع ليستنتج أما القرآن فهو منزل بالواقع والحكم التاريخي فيه حكم العالم بالحقيقة فهو لا يستنتج ولكن يقرر الواقع ويذكر من الأسماء والأزمان والأمكنة والأحداث ما يعيننا على فهم الحكم التاريخي وتلقيه بالقبول .

ويتفق التاريخ والقرآن في أن كلا منهما يرتب الحكم التاريخي على المقدمات التي يذكرها وإن كانا يختلفان في طريقة ذلك الترتيب ،فالمؤرخ يرتب المقدمات ترتيبا ظنيا خاضعاً لآلاف الفروض وأنواع الحدس والتخمين ..

وأما القرآن الكريم فيرتب المقدمات ترتيباً يقينيا لا شك فيه فإذا قرأنا قوله تعالى " ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرۡيَةً كَانَتۡ ءَامِنَةً مُّطۡمَئِنَّةً يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ (٢) رأينا المقدمات يقينية الوقوع والحكم الذي ترتب عليها هو عين اليقين .

فالقرآن مصدر من مصادر التاريخ وليس كتاباً من التاريخ ، والفرق بينهما واضح كل الوضوح ، وليس في المسلمين من يقول بغير هذا .

ورحم الله شيخنا الغزالي إذ فرق بين الخيال الشاطح والحق الواضح بقوله :

---

(١) [الصافات/١٤١]

(٢) [النحل/١١٢]

هذا افتعال أحداث يسبكها الخيال ، وذاك عرض أجزاء من واقع الحياة التي لا ريب فيها .

والروايات التي تؤلف تخضع لمشرب صاحبها وفهمه للأشخاص والأشياء وحكمه في القضايا الخاصة والعامة .

فهي أسلوب في التوجيه يتأثر بألوان الرغبات ، وتتنفس فيه شتى الشهوات .

وكثيرا ما نجد مؤلف الرواية يسوق الأحداث التي يتخيلها بطريقة تسوغ الخطيئة ، وتبرز الأسباب الدافعة إليها ، وتهون الأسباب العاصمة منها ، حتى ليكون القارئ بعواطفه في صف الجريمة ومرتكبها ..

وكثيرا ما تكون الروايات حافلة بمسالك يشوبها الطيش . ولكن عناصر المخاطرة والمرح التي تحف بها تجعل هذه المسالك كأنها نداء الطبيعة الذى لابد منه .

ومن ثم استفحلت الأضرار النفسية والاجتماعية لهذا القصص المفترى ، واعوجت أخلاق الشباب ..

وصلة هذا القصص المفترى بالقصص الحقيقي كصلة التمثال الحجري بأجساد الأحياء .

بل إنه لو أحسن تأليفه وشرفت غايته ما بلغ في نتائجه مبلغ الاستقصاء الصحيح لأخبار الناس وسيرهم في هذه الحياة وتقلبها في خيرها وشرها .

ذلك أن البون بعيد بين شطحات الخيال وبين الحق الثابت المستقر ، بين قصة يبدو لمؤلفها أن يقتل البطل أو أن ينجيه حسب ما يعتريه من تصورات وبين تتبع قوانين الله في كونه وفي عباده .

تلك القوانين التي تدور بين الناس على أساس من الحكم البالغة والقدر العادل والإحصاء الدقيق لأحوال البشر على اختلاف الليل والنهار.

والوعظ الناجح لا يكون بمخترعات الأخبار ، وإنما يكون بما وقع فعلا من حسنات وسيئات وأفراح وأحزان وهزائم وانتصارات .

ولذلك يقول الله لنبيه ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [١]

﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [٢] " [٣]

الوقفة الأخيرة :

هناك فرق بين القصص والأمثال في القرآن ، فالقصص حق وصدق وواقع ، والأمثال قد تكون واقعة أو غير واقعة والقصد منها العظة والعبرة .

ولا شك أن خلف الله لم يفرق بين القصص التي نص القرآن على وقوعها ، وبين الأمثال التي يجوز فيها الوقوع وعدمه ، وهى أمثال لا أساطير ، وقد ورد كثير منها في القرآن أيضاً ، ولكنه لم يرزق قوة التمييز بينها ، فخبط فيها خبط عشواء ، وسقط سقوط من يتناول ما هو

---

(١) [هود/١٢٠]

(٢) [الأعراف/١٠١]

(٣) نظرات في القرآن محمد الغزالي ص ١٠٣ط نهضة مصر ط السادسة يوليو ٢٠٠٥م

فوق طاقته .

لقد ذكر الله تعالى قصة مريم في سورة آل عمران ، ثم قال فيما ذكره منها ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (١) ، وهذا نص قاطع في وقوع هذه القصة ، وذكر قصة نوح في سورة هود ثم ختمها بقوله ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) فجعل تلك الأنباء وهى من الغيب من دلائل نبوته ، ولا يصح الاستدلال بها على نبوته إلا إذا كانت صحيحة ، وذكر قصة يوسف في سورة يوسف ثم ختمها بقوله ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾(٣) وهذا نص قاطع في وقوع هذه القصة ، وهكذا غير هذه القصص من قصص الأنبياء ونحوها .

وهناك أمثال يضربها الله تعالى للناس ، كقوله تعالى ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤) فهذا لا يلزم أن يكون واقعاً ، وكذلك ما أشبهه من أمثال القرآن .

---

(١) [آل عمران/٤٤]

(٢) [هود/٤٩]

(٣) [يوسف/١٠٢]

(٤) [النحل/٧٥]

مطاعن وشبهات

ساق خلف الله بعض المسائل القرآنية التي طعن فيها الملاحدة بحجة مخالفتها للتاريخ ، وغرضه من ذلك إثبات أن القرآن لم يلتزم الصدق التاريخي في قصصه .

وذلك في مثل قوله تعالى : " ويكلم الناس في المهد " [١] فينقل عن الرازي [٢] أن اليهود والنصارى ينكرون أن عيسى تكلم في زمن الطفولة ، ويحتجون بأن هذا لو حدث لكان من الوقائع العجيبة التي تنقل بالتواتر .

وفي آية ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴾ [٣] ينقل عن الرازي[٤] أيضاً أن اليهود قالت : أطبق الباحثون عن تواريخ بنى إسرائيل وفرعون أن هامان ما كان موجوداً ألبتة في زمان موسى وفرعون ، وإنما جاء بعدهما بزمن مديد .

وفي آية ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ [٥] يروى ما يذكره المبشرون والمستشرقون من أن النبي ﷺ ــ بزعمهم ــ كان يرى أن مريم أم المسيح كانت أخت هارون أخي موسى عليهما السلام مع أن بينها وبينهما من الزمن ألفاً وخمسمائة وسبعين سنة .

(١) آل عمران : ٤٦ .

(٢) مفاتيح الغيب للفخر الرازي – (ج ٤ / ص ٢١١).

(٣) غافر : ٣٦ .

(٤) مفاتيح الغيب للفخر الرازي – (ج ١٣ / ص ٣٣٦).

(٥) مريم ٢٨ .

ويعلق خلف الله على ذلك كله بقوله : هذه الأقوال ــ وكثير غيرها ــ قصد إليها المبشرون والملاحدة ليثبتوا للناس أن القرآن من عند محمد ﷺ ؛ لأنه لو كان من عند الله لما وجدت فيه هذه الأخطاء التاريخية ، وهذه الأقوال ــ وكثير غيرها ــ إنما كانت لأن المسلمين أنفسهم قد حرصوا الحرص كله على فهم القصص القرآنى على أساس من التاريخ ، ولو أنهم أعرضوا عن هذا الأساس وحاولوا فهم القرآن على أساس من الفن الأدبي لأغلقوا هذا الباب الذى جاءت منه الريح ، ولسدوا على المشركين والمبشرين السبل وحالوا بينهم وبين الطعن في النبي عليه السلام وفي القرآن . [(١)]

فخلف الله يدافع عن الإسلام وعن القرآن وعن النبي ﷺ ، وأن ما ذهب إليه إنما هو رد لمزاعم الملاحدة والمبشرين وهذا عذر أقبح من ذنب كما يقولون .

وأنبه مرة ثانية إلى أن خلف الله في استشهاده ونقوله كان يتحرى نقل النص الذي يفيده في قصده ويجتزئه دون النظر إلى سياقه الذى جاء فيه ، ودليل ذلك أنه ينقل الشبه من الفخر الرازي ويغفل تماماً الردود التي شفعت بها .

فهو مثلا حين استشهد بكلام الرازي في نكران اليهود والنصارى تكلم عيسى عليه السلام في المهد لم يذكر الرد ، رغم انه موجود إلى جوار الشبهة ، فقد قال الرازي بعد سوقه لما افتراه اليهود :

أجاب المتكلمون عن هذه الشبهة ، وقالوا : إن كلام عيسى عليه

(١) راجع : مدخل إلى علم التفسير ٢١٥، ٢١٦ الفن القصصي ٢٥-٢٨ . ٢١٥مع المفسرين والكتاب أحمد محمد جمال ٧٢ وما بعدها.

السلام في المهد إنما كان للدلالة على براءة حال مريم عليها السلام من الفاحشة ، وكان الحاضرون جمعاً قليلين ، فالسامعون لذلك الكلام ، كان جمعاً قليلاً ، ولا يبعد في مثله التواطؤ على الإخفاء ، وبتقدير أن يذكروا ذلك إلا أن اليهود كانوا يكذبونهم في ذلك وينسبونهم إلى البهت ، فهم أيضاً قد سكتوا لهذه العلة فلأجل هذه الأسباب بقي الأمر مكتوماً مخفياً إلى أن أخبر الله سبحانه وتعالى محمداً صلى الله عليه وسلم بذلك ، وأيضاً فليس كل النصارى ينكرون ذلك ، فإنه نقل عن جعفر بن أبي طالب : لما قرأ على النجاشي سورة مريم ، قال النجاشي : لا تفاوت بين واقعة عيسى ، وبين المذكور في هذا الكلام بذرة .(١)

وهذا يدحض هذا الافتراء المزعوم .

ونفس الحال في وجود هامان في زمن موسى عليه السلام حيث تعمد خلف الله بتر النص واكتفي بالشبهة دون المجيء بما يدحضها رغم ثبوته .

قال الرازي :

والجواب : أن تواريخ موسى وفرعون قد طال العهد بها واضطربت الأحوال والأدوار فلم يبق على كلام أهل التواريخ اعتماد في هذا الباب ، فكان الأخذ بقول الله تعالى أولى(٢)

وهذا التعمد ورد في كل ما نقله ومن الممكن مراجعة ما اعتمد عليه خلف في هذا الباب في موضعه .

---

(١) مفاتيح الغيب للفخر الرازي – (ج ٤ / ص ٢١١) .

(٢) المرجع السابق – (ج ١٣ / ص ٣٣٦) .

أما ما زعمه عن أم المسيح أنها كانت أخت هارون أخي موسى عليهما السلام فلا يخفي على عاقل بطلانه .

فقوله: (يا أخت هارون) يعنى أخته في الصلاح لا في النسبة، وذلك كقولهم: يا أخا تميم، وقوله: ﴿ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ ﴾ [1]سماه أخا تنبيها على إشفاقه عليهم شفقة الأخ على أخيه، وعلى هذا قوله: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودًا ﴾[2]- ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا ﴾[3]- ﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبًا ﴾ [4]وقوله: ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنۡ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَا ﴾[5]أي من الآية التي تقدمتها، وسماها أختا لها لاشتراكهما في الصحة والإبانة والصدق. [6]

ويكفي في رد هذا الكلام ما روى عن المغيرة بن شعبة أنه قال:" لما قدمتُ نجران سألوني: فقالوا: إنكم تقرءون: يا أخت هارون، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟! فلما قدمتُ على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، سألته عن ذلك فقال:" إنهم كانوا يُسمّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم". [7]

---

(١) الأحقاف: ٢١
(٢) الأعراف: ٦٥
(٣) الأعراف: ٧٣
(٤) الأعراف: ٨٥
(٥) الزخرف: ٤٨
(٦) غريب القرآن للأصفهاني ص ١٣
(٧) سنن الترمذي كِتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاب وَمِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ وقال حديث حسن صحيح غريب – (ج ١٠ / ص ٤٣١)

تحكيمه للعقل :

إن خلف الله لم يكتف بما نقله عن الملاحدة مبرراً به مذهبه في القصص القرآني ، بل احتكم إلى العقل في بعض قصص القرآن فزعم أن العقل يرفض هذا القصص ولا يقنع به .

فهو يقول : وبان للعقل الإسلامي أن هذه المحاورة التي يصورها القرآن الكريم قائمة بين المولى سبحانه وتعالى وبين عيسى عليه السلام في آخر سورة المائدة لا تفهم على ظاهرها ولا تفسر على أنها وقعت حقاً ، وأنها لا يمكن أن تكون إلا التصوير الأدبي الذي يقصد منه إلى توبيخ النصارى المعاصرين لمحمد عليه السلام.[١]

أي عقل هذا الذي يقصده خلف الله ؟ !

إنه يريد من كلامه رمى القرآن بعدم اهتمامه بالشخصيات في قصصه ، وعلى هذا فالقرآن يمثل المذهب الفني في رسم الأشخاص عند قصاص العربية ؛ إذ كانوا يهتمون بالحادثة أكثر من اهتمامهم بالبطل ، ويهتمون بالفكرة أكثر من اهتمامهم بالأشخاص .

وقد تعقب الدكتور محمد رجب البيومى هذا الكلام بقوله : هو قول ينقصه التحقيق ؛ لأن التصوير سمة عامة للبيان القرآني في كل مجالاته التعبيرية ، وهو في القصة القرآنية على أتم ما يعهد ، فأنت تعرف الشخصيات القرآنية معرفة متميزة حتى لتفرق بوضوح بين سمات يوسف وموسى وإبراهيم وسليمان وبلقيس وامرأة العزيز ، لا أقول السمات الظاهرة وحدها بل السمات الخافية التي تمور في

---

(١) راجع مدخل إلى علم التفسير ص ٢١٩-٢٢٠ الفن القصصي ص ٣٥، ٣٦، ٣٧، -١٨٠-١٨١-١٣٧-١٣٨-٢٠٥ بتصرف .

مسارب الدم واللحم ، وإذا لم يكن ذلك لبراعة التصوير الأدبي للشخصية القرآنية فلأي شيء يكون ؟!

ثم من قال إن القصص العربي القديم كان يهتم بالحادثة أكثر من اهتمامه بالبطل ، وبالفكرة والرأي أكثر من الشخص ، وما عشق الأدباء القصص العربي القديم إلا لبراعته التصويرية وسياقه البياني ذي الإيحاء ، بحيث أكب عشاق البلاغة على حفظ ما روى الأصمعي وأبو الفرج من منثوره في عبارات تنفث بالسحر وتجرى مجرى الأمثال (١).

ادعاء الأسطورة في القصص القرآني :

يرى خلف الله أنه لا مانع من إطلاق الأسطورة على القصص القرآني باعتبارها أداة من أدوات التعبير الفني ، معتمدا ــ فيما يزعم ــ على بعض الأقوال الواردة في كتب التفسير .

ومن أقواله في هذا الشأن :

إننا لا نتحرج من القول بأن في القرآن أساطير .

يجب إذاً ألا تزعجنا هذه اللفظة فنجرى فيها وراء الخيال ونعتقد أنها الأكذوبة أو الخرافة ، وإنما يجب أن نقف منها عند المدلول الذى فهمه المفسرون والمعنى الذى قصد إليه القرآن .(٢)

وبلغ من تقديره لرأيه أن عده لونا من ألوان التجديد غير المألوف لدى أهل مكة لذا وقفوا أمامه منكرين ، أما أهل المدينة فقد كان سائغاً مقبولا لديهم هذه النوع من التجديد لإلفهم هذا اللون من خلال الكتب السماوية السابقة .

---

(١) البيان القرآنى د/ محمد رجب البيومى ١/١٤٩-١٥٠

(٢) الرسالة ١١٢١-١١٢٢

قال : لقد كان هذا الصنيع الأدبي من القرآن ــ وهو بناؤه بعض قصصه الديني على أساس من الأساطير القديمة ــ تجديدا في الحياة الأدبية عند العرب المكيين ، وكان تجديدا لم يعرفه القوم من قبل لبعدهم عن الكتب السماوية ، ومن هنا أنكروه وقالوا ما قالوا عن النبي وعن القرآن الكريم .

ولقد كان هذا الصنيع الأدبي مما ألفه القوم من المدنيين خاصة أهل الكتاب ، ذلك لأنه الصنيع الذى جرت عليه التوراة وجاء به الإنجيل ، ومن هنا لم ينكروه ولم يقولوا فيه مثل ما قال الأولون من المكيين ، ولا يزال هذا الصنيع حتى اليوم من عمل الأدباء المجيدين ، ولا بدع في أن يكون صنيع القرآن وهو في أعلى ما عرفت العربية من طبقات البلاغة وأدب القائلين . (١)

إن هذا الكلام صريح في جعل القرآن بشرى الصنعة ، خاضعاً في قصصه لما يخضع له الأدب من مقاييس وقواعد .

ويؤيد خلف دعواه بأقوال من سبقه قائلاً : ليست الأسطورة في حس القرآن الكريم إلا ما سطره الأقدمون من أخبارهم وأقاصيصهم بذلك تنطق آياته وإلى ذلك فطن المفسرون قال الله تعالى : و ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ (٢) ﴿ لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾(٣)

---

(١) الرسالة ١٢٠٥

(٢) [الفرقان/٥]

(٣) [الأنفال/٣١] .

وجاء في تفسير الطبري [١]و"الأساطير" جمع "أسطر"، وهو جمع الجمع ، لأن واحد "الأسطر" "سطر"، ثم يجمع "السطر"، "أسطر" و"سطور"، ثم يجمع "الأسطر" "أساطير" و"أساطر". وقد كان بعضُ أهل العربية يقول: واحد "الأساطير"، "أسطورة".

وإنما عنى المشركون بقولهم: إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ إنْ هذا القرآن الذي تتلوه علينا يا محمد إلا ما سطَّره الأولون وكتبوه من أخبار الأمم ، كأنهم أضافوه إلى أنه أخذ عن بني آدم، وأنه لم يوجهِه الله إليه.

وهذه هى نظريتي في الأساطير وهى تتفق وما ذهب إليه الرازي وتجرى مع مذهب الأستاذ الإمام والمذهب الأدبي في أن الأسطورة أداة من أدوات التعبير . [٢]

فلقد فطن الرازي إلى هذا الصنيع الأدبي من اعتماد القرآن على الأسطورة عند شرحه لمواقف المشركين .

قال رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ ﴾ من سورة يونس [٣] ما يأتي :

الوجه الأول : أنهم كلما سمعوا شيئاً من القصص قالوا : ليس في هذا الكتاب إلا أساطير الأولين ولم يعرفوا أن المقصود منها ليس هو نفس الحكاية بل أمور أخرى مغايرة لها [٤]

فنحن نلحظ أن الرازي هنا يفرق بين شيئين : الأول : هيكل

---

(١) جامع البيان للطبري- ج ٩ ص ١٤٢ ، ج ١٣ / ص ٥٠٣ .

(٢) الرسالة اص ١٠٦٩.

(٣) آية رقم ٣٩ .

(٤) مفاتيح الغيب للفخر الرازي - (ج ٨ / ص ٢٨٦)

القصة أو جسم الحكاية.

الثاني : ما في القصة من توجيهات دينية نحو قواعد الدعوة الإسلامية ومبادئ الدين الحنيف .

والرازي يلحظ أن الأمر الأول وهو هيكل القصة أو جسم الحكاية هو الذى أدخل الشبهة على عقول المشركين ، ومن أجل هذا قالوا عن القرآن إنه أساطير الأولين(١)

وإذا وصلنا إلى هذه النقطة وعرفنا أن الصنيع الأدبي أو البلاغي في الأسطورة هو الأمر الذى فطن إليه الرازي وقال بوجوده كان علينا أن نرصد الفوائد التي نجنيها أو المضار التي نزيلها حين نتابع الرازي في رأيه ونفسر بعض القصص القرآني هذا التفسير البلاغي أو الديني القديم .

أما الفوائد فهي رد عادية المستشرقين والملاحدة حين يوجهون الطعن إلى النبى والقرآن الكريم ، ذلك لأنهم يقولون بما قال به المشركون من قبل من أن القرآن قد جاء بالأساطير ، ولعل هؤلاء أقوى سنداً وأثبت حجة حين يوردون الدليل تلو الدليل على ما ورد في القرآن من أساطير .

لا نقول لهؤلاء إلا ما قاله الرازي لأسلافهم منذ قرون ، ولن نطلب إليهم إلا أن يفرقوا بين أمرين : جسم القصة أو هيكل الحكاية وما فيها من توجيهات دينية نحو الدعوة الإسلامية ومبادئ الدين الحنيف .

ولن نقول لهم إلا أن الأمر الأول كان وسيلة لا غاية وأنها وسيلة غير مقصودة لذاتها من القرآن الكريم ، ولن نقول لهم إلا أن الأمر

---

(١) الرسالة ١١٢٢

الثاني هو المقصود بالذات وأنه الحق الذى ليس بعده حق فيما يخص دعوتنا الإسلامية وشرعنا الحنيف .

إن تمسكنا بالرأي الذى يقول إن جسم القصة أو هيكل الحكاية حق ثابت بعد أن ثبت لدى العلماء الدارسين أنها من الأساطير أمر يعرض القرآن لشر عظيم .

وإن قولنا بالتفرقة بين الأمرين جسم القصة وما فيها من توجيهات هو الذى يتفق والصنيع الأدبي وهو الذى يرد عن القرآن عادية الملاحدة والمستشرقين .[1]

ويتابع نقله فيروى عن الأستاذ الإمام فيقول : وجاء في المنار [2]عند تفسيره لآية

الأنفال " إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ " أي قصصهم وأحاديثهم التي سطرت في الكتب على علاتها وما هي بوحى من عند الله ، قال المبرد في أساطير جمع أسطورة كأرجوحة وأراجيح وأثفية وأثافي وأحدوثة وأحاديث ، وفي القاموس الأساطير الأحاديث لا نظام لها ..

قال المفسرون : كان النضر بن الحارث يختلف إلى أرض فارس فيسمع أخبارهم عن رستم وأسفنديار وكبار العجم ويمر باليهود والنصارى ويسمع منهم التوراة والإنجيل ، كأنهم يعنون أن أخبار القرآن عن الرسل وأقوامهم اشتبهت عليه بقصص أولئك الأمم ، فقال إنه يستطيع أن يأتي بمثلها ، فما هى من خبر الغيب الدال على أنه وحى من الله ، ولعله أول من قال هذه الكلمة فقلده فيها غيره ولم يكونوا

---

(١) المرجع السابق ص ١١٢٣

(٢) ج ٩ ص ٦٥٣

يعتقدون أنها أساطير مختلقة ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الذى افتراها فإنهم لم يكونوا يتهمونه بالكذب كما نقل عن كبار طواغيتهم ومنهم النضر بن الحارث وقد قال تعالى في ذلك" فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ " (١) بل كانوا يوهمون العرب أنه اكتتبها وجمعها كما في آية الفرقان " ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ (٢)اى ليحفظها (٣)

قلت :

ألم يلتف خلف الله إلى ما نقله الطبري في تتمة كلامه : كأنهم أضافوه إلى أنه أخذ عن بني آدم ، وأنه لم يوحه الله إليه ؟ !

وهذا دال على أن الأساطير المعروفة لديهم إنما هي أكاذيب لا حقائق .

ثم لو تتبع الآيات الأخرى التي جاء فيها ذكر الأساطير وتعرض لها الطبرى في تفسيره لعلم مصداق ذلك .

فهو يقول في آية سورة النحل ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ (٤) وإذا قيل لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من المشركين ، ماذا أنزل ربكم ؟ أيّ شيء أنزل ربكم ؟ قالوا: الذي أنزل ما سطَّره الأوّلون من قبلنا من الأباطيل.(٥)

---

(١) [الأنعام/٣٣] .

(٢) [الفرقان/٥] .

(٣) تفسير المنار ٦٥٣/٩ .

(٤) [النحل/٢٤] .

(٥) " جامع البيان للطبرى– (ج ١٧ / ص ١٨٩) .

وفي تفسيره لقوله تعالى ﴿ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [1] يقول :

يقول تعالى ذكره: قالوا: لقد وعدنا هذا الوعد الذي تعدنا يا محمد، وَوَعَد آباءنا من قبلنا قومٌ ذكروا أنهم لله رسل من قبلك ، فلم نره حقيقة (إِنْ هَذَا) يقول: ما هذا الذي تعدنا من البعث بعد الممات(إِلا أَسَاطِيرُ الأوَّلِينَ) يقول: ما سطره الأولون في كتبهم من الأحاديث والأخبار التي لا صحة لها و لا حقيقة. [2]

وفي آية النمل﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [3] قال :

يقول: لقد وَعَدنا هذا من قبل محمد واعدون ، وعدوا ذلك آباءنا، فلم نر لذلك حقيقة، ولم نتبين له صحة(إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأوَّلِينَ) يقول: قالوا: ما هذا الوعد إلا ما سطَّر الأوّلون من الأكاذيب في كتبهم، فأثبتوه فيها وتحدّثوا به من غير أن يكون له صحة [4].

إذن فلا صحة لما ادعاه خلف الله على شيخ المفسرين الطبري رحمه الله .

أما عن الرازي وما نسبه إليه فأقول فيه : إن خلف الله يؤكد دائما على تدليسه في النقل ، فلو أنه كان أمينا وترك النص يتكلم عن صاحبه

(١) [المؤمنون/٨٢، ٨٣] .
(٢) جامع البيان للطبرى- (ج ١٩ / ص ٦٣) .
(٣) [النمل/٦٧، ٦٨] .
(٤) جامع البيان للطبرى- (ج ١٩ / ص ٤٩١)

لكان أتقى !

ولو ذكر قول الرازي يفسر الأمور الأخرى : وثالثها : أنه صلى الله عليه وسلم لما ذكر قصص الأولين من غير تحريف ولا تغيير مع أنه لم يتعلم ولم يتلمذ ، دل ذلك على أنه بوحي من الله تعالى ، كما قال في سورة الشعراء بعد أن ذكر القصص ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ (١)

وهلا تأمل في قول الإمام الجليل من غير تحريف ولا تغيير وعلمت أنه يقصد جسم القصة وهيكل الحكاية ، وهو بذلك يرى رأى المسلمين قاطبة ؟!(٢)

واستشهاده بكلام الأستاذ الإمام استشهاد في غير محله ، فكلام الإمام ليس فيه ما يدل من قريب ولا من بعيد على ما يريده خلف الله .

وزيادة على ما سبق :

إذا رجعنا إلى كتب اللغة نَجِدُ صاحب "المصباح" يقول: "والأساطير: الأباطيل"، وصاحب "لسان العرب" يقول: "الأساطير: الأباطيل"، ويقول أيضًا كما قال صاحب "القاموس": "والأساطير: أحاديث لا نظام لها"، وفي "اللسان" أيضًا: "يقال: سطر فلان علينا، إذا أتى بأحاديث تشبه الباطل"، ــ وقد سبق ذكر هذا في التفرقة بين القصص والأسطورة في افتتاحية هذا العمل(٣) ــ وهذه النصوص وحدها كافية لأن تمنع كاتب الرسالة من أن يسمي القصة في القرآن أسطورة.

---

(١) [الشعراء : ١٩٢ ١٩٤] .

(٢) الرسالة العدد ٧٤٨ ص ١١٩٣ السنة الخامسة عشرة ١٩٤٧هـــ .

(٣) راجع الفرق بين القصص والأساطير في التعريف اللغوي لمادة قص (التمهيد)

ويبقى التساؤل : ماذا يريد خلف الله ؟

ما سبق نقله من ادعاءات وافتراءات مكذوبة على القرآن وقصصه تجعلني أؤكد على أن خلف الله يذهب إلى بشرية القصص القرآن .

ومما يزيد هذا الحكم عندي يقيناً صراحته بذلك حين قال : لقد تقرر أن القرآن إنساني العبارة ، بشرى الأسلوب ، جاء على سنن العرب في بلاغتها وبيانها .

وفسر ما قرره من بشرية الأسلوب القرآني بقوله : وعلى الجملة فالأسلوب القرآني في القصص يساير نفسية النبي محمد عليه السلام .

ويقول : القصص القرآني يمثل نفسية النبي ويمثلها في أدق مراحلها وفي أعنف صورها . (١)

ولاشك أن الطعن في قصص القرآن على هذا الوجه طعن في القرآن كله .

وما الفرق بين كلامه هذا وبين مقولة جولد تسهر عن القرآن : تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجًا منتخبًا من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثرًا عميقًا ، والتي رآها جديرة بأن توقظ في بني وطنه عاطفة دينية صادقة . .

فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه ، كما صار يُعد هذه التعاليم وحيًا إلهيًا .

وقوله : لقد أفاد محمد من تاريخ العهد القديم وكان ذلك في أكثر

---

(١) راجع مدخل إلى علم التفسير ص ٢١٩-٢٢٠ الفن القصصي ص ٣٥، ٣٦، ٣٧، -١٨٠-١٨١-١٣٧-١٣٨-٢٠٥ بتصرف .

الأحيان عن طريق قصص الأنبياء ليذكّر على سبيل الإنذار والتمثيل بمصير الأمم السالفة الذين سخروا من رسلهم ووقفوا في طريقهم .

إن محمدًا أخذ يجمع ما وجده في اتصاله السطحي أثناء رحلاته التجارية مهما كانت طبيعة هذا الذي وجده ، ثم أفاد من دون أي تنظيم [(١)] .

إن محاولة الترويج لهذه النظرية بارتداء ثوب الدفاع عن القرآن والإسلام محاولة واضحة البطلان ؛ لأنها تسلم بدءاً لكافة أعداء القرآن بكل ما حاولوا في قرون متتالية أن يصموه به من اشتماله على الأساطير والأكاذيب المخالفة للواقع والتاريخ ، وكونه بشرى الأسلوب والعبارة ، وكونه يعبر عن نفسية الذي بلغه للناس ، وكونه ديناً محليا نبع من الأفكار والمعتقدات التي كانت شائعة في الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي ، واستخدمها للتأثير في معاصري نزوله ، واستهواء نفوسهم واجتذابهم إلى الإيمان به .

فماذا يبقى منه إذن بعد هذا كله ككتاب موحى به من عند الله العليم القادر إلى الناس كافة يتضمن الحق والهداية ، ويبرأ من الكذب والباطل براءة مطلقة ، كما يؤمن بذلك الذين يؤمنون به حق الإيمان ؟ [(٢)]

---

(١) ، العقيدة والشريعة في الإسلام جولد تسهر ، ص ١٢ ،١٥، ٢٥ ، ترجمه محمد يوسف موسى وآخرون ، القاهرة ١٩٤٨م . والمعنى نفسه أورده بلفظ مقارب في ((مذاهب التفسير الإسلامي)) ، ص ٧٥ ، بترجمة عبد الحليم النجار ، القاهرة ١٩٥٥م .

(٢)لإلقاء مزيد من الضوء على الزعم الاستشراقى التبشيرى القائل ببشرية القرآن الكريم ، وأصداء هذا الزعم في بلادنا الإسلامية راجع كتاب : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي للدكتور محمد البهى ص ٢٢٥/٢٤٨ حيث عرض فيها للمقارنة بين كتابى المذهب المحمدى للمستشرق الانجليزي جب ، وفي الشعر الجاهلى لطه حسين والأول يعبر عن فكرة بشرية القرآن بأنه كان انطباعاً في نفس محمد ﷺ ، أما الثانى فيقول إنه كان تعبيراً عن الحياة التي عاشها .(مدخل إلى علم التفسير د/ محمد بلتاجي ص ٢٢٢)

جذور فكر خلف الله

جذور هذه الفكرة الفنية ــ القريبة ــ لدى خلف الله مستقاة من فكر وتوجيهات مشرفه وأستاذه أمين الخولي الذي أثر فيه أعظم التأثير ، وطالبه " بتوجيه الدراسات والبحوث إلى الوجهة اللغوية والبيانية في القرآن الكريم على ضوء علمي النفس والاجتماع المعاصرين " [1]

وقد بدا موقفه واضحاً في ثنائه على العمل ونضاله عنه وعن صاحبه ، وإعلانه أنه متضامن مع مقدم الرسالة في كل حرف منها ، وأنه لا ينبغي الوقوف أمام حرية الرأي [2]

ففي في تقديم الطبعة الثالثة لهذه الدراسة يقول :

إن الدكتور [3] خلف الله من الذين آمنوا ... وآمنوا بالحق ... وآمنوا بالتطور ، فمضوا يدرسون القرآن دراسة فنية متجددة مستفيدين من التقدم الفني والعقلي والاجتماعي . فانتهوا بذلك إلى أن قدموا التفسير الأدبي خطوة للأمام بعيدة الأثر ... خطوة حسبها أن تمنع ازدواج الشخصية في المتدين ، ذلك الازدواج الذي يتجلى حين يدين مثقف بالإسلام واثقاً موقنا ثم يدرك ويقرر أن الإسلام وكتابه القرآن يحدث عن الأشخاص والواقعات بما يشاء ويستغلها في ترويج الدعوة الإسلامية كما يشاء دون أن يكون ذلك حقا ملزما للمؤمنين .

---

(١) ملامح التنوير في مناهج المفسرين . محمود عزب ، ص ١٢٧، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦م

(٢) مجلة الرسالة ص ١٠١٧

(٣) يلاحظ نعته له بالدكتور رغم رفض الرسالة وعدم إجازتها وهذا دال على مدى قناعته ورضاه .

ثم يقول :

إن المؤمنين بالعلم وبالتطور وبالسنن الفنية قد حلوا تلك الأزمة بأن فرقوا بين العرض الفني الأدبي وبين العرض التاريخي والأول هو منهج القرآن في قصصه .

وينتهي إلى القول : بأن هذه الدراسة قد صارت اليوم كسباً فنياُ ، ووجهاً من الإعجاز القرآني عند أصحاب الدين والأدب . [١]

هذا هو تقريظ المشرف والموجه الأستاذ أمين الخولى يعلن في صراحة واضحة أن الرسالة ليس فيها ما يشين الباحث أو يعيبه ؛ بل هي خطوة على سبيل التقدم والتطور .

وهذا الثناء العاطر على الرسالة وصاحبها يخالف مواقف العلماء في هذا الوقت فقد كتب عميد كلية الآداب أحدُ أعضاء اللجنة التي أُلِّفت لفحص الرسالة، وهو

الأستاذ أحمد أمين تقريره عن الرسالة وصاحبها وصدره بالعبارة الآتية:

"وقد وجدتُها رسالة ليست عادية ؛ بل هي رسالة خطيرة، أساسها أنَّ القَصَص في القرآن عمل فني خاضع لما يخضع له الفن من خلق وابتكار، من غير التزام لصدق التاريخ، والواقع أنَّ محمدًا فنَّان بِهذا المعنى"،.

ثم قال: "وعلى هذا الأساس كتب كل الرسالة من أولها إلى آخرها، وإني أرى من الواجب أن أسوق بعض أمثلة توضح مرامي

---

(١) مدخل إلى علم التفسير د محمد بلتاجي ص ٢١١/٢١٠ نقلاً عن الفن القصصي في القرآن الكريم ص د ، م من التقديم .

كاتب هذه الرسالة، وكيفية بنائها"، ثم أورد الأستاذ أحمد أمين أمثلة منتزعة من الرسالة، تشهد بما وصفها به في هذه العبارة المجملة.[١]

وأصدر العلماء المدرسون في كليات الأزهر وفي مقدمتهم الشيخ الشربينى من هيئة كبار العماء ، والشيخ عبد الله عامر وكيل كلية الشريعة ، والشيخ عبد العزيز خطاب وكيل كلية أصول الدين ، والشيخ محمد أبو النجا وكيل كلية اللغة العربية الفتوى الشرعية التالية :

اطلعنا على الاستفتاء المقدم من فضيلة الشيخ عبد الفتاح بدوى المدرس بكلية اللغة العربية عن النصوص الواردة في رسالة الفن القصصى في القرآن المقدمة من محمد أفندى أحمد خلف الله المعيد بكلية الآداب ، ونفتى بأن هذه النصوص مكفرة يخرج بها صاحبها من دين الإسلام ، وإنه متى ثبتت هذه النصوص فإن مؤلفها كافر ، والمشرف على تأليفها المقر لها كافر ، ويجب أن لا يتصل أحد منهما بدراسة القرآن الكريم في الجامعة أو سواها ، ويجب أن يعاقبا بما تقضى به قوانين المملكة المصرية ؛ لأن عملهما هذا خروج على الإسلام دين الدولة .[٢]

ووصل الأمر بهم إلى الاستعانة بالسدة الملكية فكتبت مجلة الرسالة في أحد أعدادها هذا الخبر [٣]

---

(١) الفن القصصي في القرآن محمد الخضر حسين مجلة: "الهداية الإسلامية" الجزآن السابع والثامن من المجلد العشرين، محرم وصفر عام ١٣٦٧، والجزآن الأول والثاني من المجلد الحادي والعشرين، رجب وشعبان عام ١٣٦٧هـ

(٢) مجلة الرسالة ص ١٣٣٥

(٣) المرجع السابق ص ١١٧٩

تشرف وفد من علماء الأزهر بزيارة قصر عابدين ورفع إلى السدة الملكية مذكرة علماء الأزهر التي يطلبون فيها :

١- تحويل الرسالة إلى فضيلة مفتى الديار المصرية ليقضى فيها من ناحيته باعتباره جهة الاختصاص .

٢- دعوة كبار العلماء لعقد اجتماع لمناقشة الأستاذ أمين الخولى باعتباره (عالما) فيما اعترف به من تأييد للرسالة .

٣- وقف الأستاذ أمين الخولى ومحمد أحمد خلف الله أفندى عن عملهما حتى يفصل في أمرهما .

٤- عدم تجديد عضوية الأستاذ أمين الخولى بمجلس إدارة كلية أصول الدين والمذكرة موقعة بتوقيع فضيلة الشيخ الشربينى رئيس الجبهة وعضو هيئة كبار العلماء ، وفضيلة الشيخ الزرقانى سكرتيرها الأستاذ بكلية أصول الدين .

أما موقف الأستاذ الخولى فليس بغريب عليه ؛ فقد اعتنق آراء سلفه طه حسين والتي دعا فيها إلى دراسة القرآن دراسة فنية ، وأعلن أن من حق الناس أن يعلنوا آراءهم في الكتب المقدسة من حيث هي كوضع للبحث الفني والعلمي بقطع النظر عن مكانتها الدينية .(١)

ففي سنة ١٩٢٦م أصدر طه حسين كتابه (في الشعر الجاهلي) وقد جاء في ص ٢٦ ما نصه :

للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا أيضا ، ولكن رود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات

(١) الملل والنحل للشهرستانى بذيل الجزء الثاني تحقيق محمد سيد كيلانى ص ٨٦ نشر دار المعرفة بيروت لبنان ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م

وجودهما التاريخي!! .

ثم قال أيضا : فضلاً عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها ، ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعاً من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة ، وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى ، وأقدم عصر يمكن أن تكون قد نشأت فيه هذه الفكرة إنما هو هذا العصر الذي أخذ اليهود يستوطنون فيه شمال البلاد العربية ، ويبثون فيه المستعمرات ، ونحن نعلم أن حروباً عنيفة شبت بين هؤلاء اليهود المستعمرين وبين العرب الذين كانوا يقيمون في هذه البلاد ، وانتهت بشيء من الملاينة ونوع من المخالفة والمهادنة ، فليس ببعيد أن يكون هذا الصلح الذي استقر بين المغيرين وأصحاب البلاد منشأ هذه القصة التي تجعل العرب واليهود أبناء أعمام لاسيما وقد رأى أولئك وهؤلاء أن بين الفريقين شيئاً من التشابه غير قليل فأولئك وهؤلاء ساميون .

وقال في صفحة ٢٧ ما نصه : وقد كانت قريش مستعدة كل الاستعداد لقبول مثل هذه الأسطورة في القرن السابع للمسيح .

وقد استدعت النيابة العمومية المؤلف وحققت معه وكان التحقيق منحصرا في النقاط الآتية :

* مسألة وجود سيدنا إبراهيم وإسماعيل وهجرتهما ، وأن هذه القصة أسطورة مختلقة لأغراض دينية وسياسية

* مسألة أن القراءات السبع للقرآن الكريم لم تنزل ، وأنها وردت على لسان القبائل كما هو ظاهر من لهجاتها .

* قوله إن الإسلام ليست له سابقة وجود في البلاد العربية .

* نفي إسناد نسب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أشراف قريش .

وقد أجاب المؤلف في التحقيق بأنه يقرر صدق هجرة إسماعيل عليه السلام إلى مكة ، ويؤمن بقصة بناء الكعبة كما وردت في القرآن ، ويؤمن بتنزيل القراءات بصفته مسلما معتقداً ، ولكنه لا يقرها بصفته عالما أديبا ، وقال إن عدم إقرارها هو الطريق الوحيد العلمي للوصول إلى حقائق الشعر الجاهلي وتاريخه ، وأنه عندما ألف كتابه قال صراحة إنه لن يعرض للدين وأنه سيقصر بحثه على العلم والاستدلال بالعلم .

وسأله المحقق عما إذا كان يعتقد أن القرآن وحده كاف لإثبات الوقائع التي وردت فيه فأجاب على ذلك مقسما الوقائع الى قسمين :

الحوادث المعاصرة لنزول القرآن وهو صحيح .

الحوادث التي حدثت قبل نزول القرآن ، فهي عبارة عن قصص أراد الله بها إقناع عبيده وهدايتهم ، وهى تنطبق على مسألة الهجرة وخلافها من المسائل .

فطه حسين يقرر أنه كمسلم مؤمن بالإسلام يعتقد بصحة كل ما جاء في القران الكريم عن إبراهيم وإسماعيل ولكنه كعالم وأديب لا يؤمن ولا يقر بشيء مما تقدم .

فهو يعيش بعقلين في وقت واحد : عقلية المتدين المؤمن ، وعقلية العالم الذي يكفر بما جاء به دينه . (١)

عقب الشيخ الغزالي على موقف طه حسين بقوله :

المؤرخون قسمان : قسم لا يؤمن بالقرآن ولا يتخذ وحيه دينا ، وهذا يقول إن القرآن لا يصح أن يكون ــ عنده ــ كتابا تاريخيا يعتمد

---

(١) السابق ص ٨٤، ٨٥ ، ٨٦

عليه في بحوثه الفنية المجردة عن أى اعتبار آخر .

وهو معذور في هذا القول ، ولا ينتظر منه غيره ، لأنه لم يلتزم التصديق ولا الإيمان بالقرآن من قبل .

وقسم آمن بالقرآن وقام عنده الدليل على صدقه . وعليه حينئذ واجبان :

أولهما : أن يكون أصدق الأدلة عنده وأثبتها ما جاء في القرآن عن الأمم والعصور التي أرخ لها أو تناولتها آياته.

وثانيهما : أن يرد عنه تكذيب الصنف الأول إن حاولوا ذلك أو أرادوه ، وأن يقيم لهم الدليل على خطئهم بالأسلوب التاريخي الفنى ولن يعجزه ذلك متى أراده

ولكن بعض الباحثين من هذا القسم يحلو له أن يتشبه بأولئك ، فيجرد من شخصيته المؤمنة بالقرآن شخصية أخرى يدعى أنها تاريخية لا تهتم بأى اعتبار آخر ، ثم يمضى في بحثه متقمصا هذه الشخصية الجديدة ، وينسى تماما شخصيته الأولى فيزل ويهوى .

ولو عاد فذكر شخصيته المؤمنة ، وعقب على بحثه المجرد بما يفيد إيمانه بصدد هذا التاريخ القرآني ، ثم ناضل عن ذلك ودعمه بالأسلوب العلمي لقام ذلك عذرا له أمام إيمانه وأمام الناس بعد ذلك ، ولاستحق الشكر والثناء .

إن الدكتور طه حسين وقع في هذا المزلق حين انتحل من قبل ما قاله أحد المستشرقين :

للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، وللإنجيل أن يحدثنا عنهما أيضاً ، وللقرآن أن يفعل ذلك ، ولكن هذا لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي ولا ينهض هذا الدليل .

وثار الناس وهم محقون !!

ولو قال بعد ذلك : ولكنى كمؤمن بالقرآن الكريم أثبت وجودهما التاريخي بهذا الدليل ، وإذا كان البحث التاريخي المجرد بأدلته الفنية الخاصة لم يصل إلى إثبات شيء عن إبراهيم وإسماعيل فذلك لقصور قد يكشفه الزمن ، وقد نصل في المستقبل إلى ما عجزنا عنه الآن .

يحدث ذلك دائما وأخيلة الأمس حقائق اليوم ، وأخيلة اليوم حقائق الغد ، وحسب الكتب السماوية أن تضع أيدينا على طرف الحبل وعلينا بعد ذلك تمام البحث ، ومن أنكر من المستشرقين فهو متجن على العلم ، فليس توقف العقل على حكم دليلا على الاستحالة .

لو قال ذلك لكان محقا ، وكان جامعا بين تحليل العالم العصري واعتقاد المؤمن القوى ، ولما ثار به الناس وثار هو بالناس . (١)

---

(١) نظرات في القرآن محمد الغزالي ص ١٠٣

قلت : ولو تمسك بموقفه حين عاب على المستشرقين موقفهم المتناقض من بعض القضايا العلمية المسلمة وإعلانه عن عدم انطباق المقاييس العلمية السوية على صنيعهم ــ لكان أولى وأنجع .

نبه إلى ذلك وهو يناقش بعضهم عندما ادعى أن من مصادر القرآن شعر أمية بن أبى الصلت في كتابه في الأدب الجاهلي ص ١٤٣فقال : والغريب من أمر المستشرقين في هذا الموضوع وأمثاله أنهم يشكون في صحة السيرة نفسها ، ويتجاوز بعضهم الشك إلى الجحود فلا يرون فيها مصدراً تاريخياً صحيحاً ، وإنما هى عندهم كما ينبغى أن تكون عند العلماء جميعا من الأخبار والأحاديث تحتاج إلى التحقيق والبحث العلمى الدقيق ليمتاز صحيحها من منحولها .

هم يقفون هذا الموقف العلمي من السيرة ، ويغلون في هذا الموقف ، ولكنهم يقفون من أمية وشعره موقف المستيقن المطمئن مع أن أخبار أمية ليست أدنى إلى الصدق ولا أبلغ في الصحة من أخبار السيرة .

فما سر هذا الاطمئنان الغريب إلى نحو من الأخبار دون الآخر ؟

ولم يكن أمين الخولي غافلاً عن أن دعوى خلف الله هذه إنما هي تكرار ــ في ثوب جديد ــ لدعوى طه حسين السابقة في الشعر الجاهلي ، ومن ثم نراه يقول في تقديمه لكتاب خلف الله: الفن القصصي في القرآن :

إن الإسلام وكتابه القرآن يحدث عن الأشخاص والواقعات بما يشاء ، ويستغلها في ترويج الدعوة الإسلامية كما يشاء .. دون أن يكون ذلك حقاً ملزما للمؤمنين ... وهو ما أذيع وتقرر ودوفع به في مصر منذ ثلث قرن في أزمة الشعر الجاهلي (١)

(١) مدخل إلى علم التفسير د/ محمد بلتاجي ص ٢٢٢

الخاتمة

نثبت في نهاية المطاف نؤكد على أمور :

*** لا تعنى إشادة القرآن بالعقل وإعلائه من شأنه أن يتجرد صاحبه من كل قيد ديني وينطلق ليقرر ما شاء وقت ما يشاء ، وذلك بحجة حرية العقل والفكر، هذه ليست حرية بل جاهلية .

*** الخروج عن المألوف في البحث العلمي لا يعد مدحاً لصاحبه ولا قدحاً فيه إلا بعد الوقوف على قيمة ما جاء به من قول ، فلا يعاب باحث خرج على الناس من خلال بحثه برأي جديد مادام رأيه هذا قد بني على قواعد واضحة وبراهين مؤيدة ، ولم يصادم في ذلك نقلا صحيحا ولا عقلا سليما .

أما إذا كان الأمر على خلاف ذلك ؛ فلا قيمة للقول مهما كانت درجة صاحبه من الشهرة وذيوع الصيت ؛ إذ الحق لا يعرف بالرجال وإنما يعرف الرجال بالحق .

*** يجب علينا أن نؤكد أن هناك فرقاً بين جهتين من القصص : قصص القرآن وقصص المفسرين ، فبعض المفسرين قد غالى في القصص وأدخل فيه ما ليس منه ، مما أدى إلى خلط الصحيح بالفاسد .

ومما لا شك فيه أن هؤلاء الذين أكثروا من نقل هذه الإسرائيليات وغيرها من الأخبار وضعوا الشوك في طريق المشتغلين بالتفسير، وذهبوا بكثير من الأخبار الصحيحة بجانب ما رووه من قصص مكذوب وأخبار لا تصح .

ومع ذلك يجب علينا أن نحسن الظن بمفسرينا ، ولا ندعي أن إيرادهم لهذه الإسرائيليات في كتبهم إنما هو طعن في كلام رب

العالمين أو نحو ذلك ، كما يزعم بعض المتفيهقين الذين يزعمون أنهم يريدون تنقية كتب التفاسير من الإسرائيليات دفاعاً عن كتاب الله عز وجل ! أو نكون كهؤلاء الذين يريدون تجريد الأمة من تراثها واجتثاثها من جذورها فينادون بحرق كتب التفسير والتخلص منها.

وأخيراً :

ليتنا نجد من بين علمائنا من يقوم بتجريد كتب التفسير من هذه الإسرائيليات والروايات التي لا نصيب لها من الصحة وخاصة فيما يتعلق بقصص القرآن وإعادة طباعتها من جديد ليتسنى للناظر في كتاب الله تعالى أن يفهم القرآن بعيداً عن الخيالات والأوهام .

أهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن دوافعها ودفعها د/ محمد حسين الذهبي ط وهبة بالقاهرة ط الثالثة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م
- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ط مصطفي الحلبي وأولاده بمصر ط الرابعة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
- آدم عيه السلام كما تحدث القرآن ، د عبد الغنى الراجحى ، ط مؤسسة مكة المكرمة ، القاهرة .
- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري د محمود زقزوق ط دار المعارف ١٩٩٧م
- التعريفات للجرجانى ، ط دار الفكر بيروت ، ط الأولى ١٤١٠هـ ، تحقيق د/محمد رضوان الداية .
- تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار للأستاذ الإمام محمد عبده ط دار المنار ط الثانية ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ط دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م
- تفسير القرآن الكريم فضيلة الإمام الشيخ محمود شلتوت طبع ونشر دار القلم بالقاهرة
- جامع البيان للطبري ط مؤسسة الرسالة تحقيق أحمد محمد شاكر ط الأولى ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م
- جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ط دار المعرفة ط الأولى ١٤٠٨ هـ
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي ط مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية ط الأولى ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م .

- سير أعلام النبلاء للذهبي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، ط مؤسسة الرسالة بيروت ط الثالثة ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م
- الشيخ عبد الرحمن تاج وبحوث قرآنية ولغوية لأبى بكر عبد الرازق ط المكتب الثقافي للنشر والتوزيع بالقاهرة ط الأولى ١٩٩٠م
- العقل والعلم في القرآن د/يوسف القرضاوي نشر مكتبة وهبة ط الأولى ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م .
- العقيدة والشريعة في الإسلام جولد تسهر ترجمه محمد يوسف موسى وآخرون ، القاهرة ١٩٤٨م
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ط دار المعرفة بيروت ١٢٧٩هـ ت محمد فؤاد عبد الباقى ومحب الدين الخطيب
- الفروق اللغوية لأبى هلال العسكري الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ مؤسسة النشر الإسلامي
- قصص الأنبياء عبد الوهاب النجار الطبعة الأولى ط مكتبة دار التراث
- قصص القرآن صدق حدث وسمو هدف ، إرهاف حس وتهذيب نفس د فضل حسن عباس ط دار النفائس الأردن ط الثانية ١٤٢٧هـ ــ ٢٠٠٧م
- قضايا إسلامية مناقشات وردود د/ محمد رجب البيومى ط دار الوفاء بالمنصورة ط الأولى ١٤٠٥هـ ــ ١٦٨٥م
- لسان العرب لابن منظور ط دار صادر بيروت .
- مجلة الرسالة تحقيق أحمد حسن الزيات العدد رقم ٧٤٩ لسنة ١٩٤٧م السنة الخامسة عشرة
- مدخل إلى علم التفسير د/ محمد بلتاجي نشر مكتبة الشباب ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م

- مذاهب التفسير الإسلامي جولد تسهر بترجمة عبد الحليم النجار ، القاهرة ١٩٥٥م .
- مع المفسرين والكتاب أحمد محمد جمال مطابع دار الكتاب العربي بمصر
- مفاتيح الغيب فخر الدين الرازى ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الأولى ١٤١١هـ ــ ١٩٩٠م .
- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى ط مصطفي الحلبي وأولاده بمصر ، ط الأخيرة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م
- ملامح التنوير في مناهج المفسرين . محمود عزب ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦م
- الملل والنحل للشهرستانى تحقيق محمد سيد كيلانى نشر دار المعرفة بيروت لبنان ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م
- الموافقات في أصول الشريعة لأبى إسحاق الشاطبى ط دار الفكر العربي ط الثانية ١٣٩٥هـ ــ ١٩٧٥م .
- نظرات في القرآن . محمد الغزالى ط نهضة مصر للطباعة ط السادسة ٢٠٠٥م
- نظرات في قصص القرآن محمد قطب عبد العال ط رابطة العالم الإسلامي
- نظم الدرر للبقاعي ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الأولى ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م . ودار الكتاب الإسلامي بالقاهرة
- نوادر الأصول في أحاديث الرسول للحكيم الترمذي ط دار الجبل بيروت ط الأولى ١٩٩٢م